تفسير إبن كثير

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ

وقوله : (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه) يقول تعالى : ولئن أخرنا العذاب والمؤاخذة عن هؤلاء المشركين إلى أجل معدود وأمد محصور ، وأوعدناهم به إلى مدة مضروبة ، ليقولن تكذيبا واستعجالا (ما يحبسه) أي : يؤخر هذا العذاب عنا ، فإن سجاياهم قد ألفت التكذيب والشك ، فلم يبق لهم محيص عنه ولا محيد .و " الأمة " تستعمل في القرآن والسنة في معان متعددة ، فيراد بها : الأمد ، كقوله في هذه الآية : (إلى أمة معدودة) وقوله في [سورة] يوسف : (وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة) [يوسف : 45] ، وتستعمل في الإمام المقتدى به ، كقوله : (إن إبراهيم كان أمة قانتا الله حنيفا ولم يك من المشركين) [النحل : 120] ، وتستعمل في الملة والدين ، كقوله إخبارا عن المشركين أنهم قالوا : (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) [الزخرف : 23] ، وتستعمل في الجماعة ، كقوله : (ولما ورد ماء مدين وجد عليه

أمة من الناس يسقون) [القصص : 23] ، وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [النحل : 36] ، وقال تعالى : (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) [يونس : 47] .والمراد من الأمة هاهنا : الذين يبعث فيهم الرسول مؤمنهم وكافرهم ، كما [جاء] في صحيح مسلم : " والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار " .وأما أمة الأتباع ، فهم المصدقون للرسل ، كما قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) [آل عمران : 110] وفي الصحيح : " فأقول : أمتي أمتي " .وتستعمل الأمة في الفرقة والطائفة ، كقوله تعالى : (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) [الأعراف : 159] ، وقال تعالى : (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) [آل عمران : 113] .